الأعراب في القرآن الكريم
(دراسة موضوعية)

Bedouins in the Holy Quran
-thematic study-

خليل نوري مسيهر
الأستاذ المساعد الدكتور في قسم علوم القرآن والتربية الاسلامية
كلية التربية - القائم / جامعة الأنبار - العراق

Khalil Nouri Misher
Assistant Professor At The Department Of Quranic
Sciences And Islamic Education / College Of
Education - Al-Qaim / University Of Anbar - Iraq

الملخص

ورد ذكر مصطلح الأعراب في القران الكريم عشر مرات، ولكن المساحة التي اخذها الحديث عن الأعراب ومواقفهم وصفاتهم واحكامهم والرد عليهم، شغلت مساحة اكبر من ذلك في القران الكريم، لما لهذه الطبقة من طبقات المجتمع العربي من دور مهم وخطير، سواء سلبا ام ايجابا، في عهد نشوء الدولة الاسلامية في عهد النبي ﷺ، وحتى في عهد الخلفاء الراشدين، وان كان الطابع السلبي هو الغالب في رسم صورة هؤلاء الاعراب في القران الكريم، لتوفر صفة الكفر والنفاق والخيانة فيهم بصورة عامة، مع وجود جانب ايجابي ونماذج مشرقة ومؤمنة نوه بها القران الكريم، وتأتي هذه الدراسة من ضمن الدراسات التي تهدف الى خدمة القران الكريم والمبالغة في الانشغال بكل ما ورد فيه تقديسا له وتعظيما وابتغاء الاجر والمثوبة من الله تعالى.

* * *

Abstract

The term Bedouin was mentioned ten times in the Noble Qur'an, but the space taken by the talk about Bedouins, their attitudes, qualities, rulings and response to them, occupied a greater space than that in the Noble Qur'an, because this class of Arab society plays an important and dangerous role, whether negatively or positively, in The era of the emergence of the Islamic state in the era of the Prophet, may God bless him and grant him peace, and even in the era of the Rightly-Guided Caliphs, although the negative character is predominant in drawing the image of these Bedouins in the Holy Qur'an, due to the presence of the character of unbelief, hypocrisy and betrayal in them in general, with a positive side and bright and believing models. It contains the Holy Qur'an, and this study comes among the studies that aim to serve the Holy Qur'an and exaggerate the preoccupation with everything contained in it in reverence and glorification and seeking reward from God Almighty.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى اله وصحبة وسلم...

القرآن الكريم كتاب الله الخالد على مر العصور، الكتاب الذي ارتضاه الله سبحانه وتعالى من بين سائر كتبه وكلامه لكي يكون هاديا للبشرية جمعاء، الى ان يأذن الله بنهاية الحياة على هذه الارض، منه نستمد معالم عقيدتنا، واحكام ديننا، التي ارتضاها لنا سبحانه، وعليه نعتمد في رسم مسار حياتنا، وتحديد معالم فكرنا، والسير على طريق الاستقامة في سلوكنا.

نحن المسلمون نجعل القران الكريم منطلقا لحياتنا باسرها فهو الموجه لنا ونحن نسير في دروب الحياة، متخذين اياه هاديا ونورا يضيء دروبنا، فكانت عناية المسلمين بالقران الكريم وخدمتهم له هي شغلهم الشاغل، منذ ان بدأ بالنزول على نبينا ﷺ، وستستمر الى قيام الساعة.

لقد دأب المسلمون على دراسة القران الكريم واستنباط الاحكام والقوانين واخذ العبر والتوجيهات منه على مر العصور، وتأتي هذه الدراسة من ضمن الدراسات التي تبتغي خدمة القران الكريم، من خلال دراسة مصطلح من المصطلحات القرآنية دراسة موضوعية، وهو مصطلح(الأعراب)، تلك الفئة من الناس التي ورد ذكرها عدة مرات في القران الكريم، وهم طبقة من طبقات المجتمع العربي، كان لها دور كبير ومؤثر سواء سلبا ام ايجابا في الاحداث التي رافقت نشوء الدولة الاسلامية، وحتى ما بعد نشوئها.

لقد تكلم القران الكريم كثيرا عن هذه الطبقة، وعن الادوار التي لعبوها، وبين صفاتهم، والحكم عليهم، وكيفية التعامل معهم، فجاءت هذه الدراسة لتنهل من القران الكريم المزيد من المعاني والفوائد، التي يمكن ان نستخلصها وايضا لرفد الدراسات القرآنية بدراسة اخرى جديدة، خدمة لكتاب الله عز وجل، وزيادة ومبالغة في الاهتمام بكل ما جاء في القران الكريم وتحدث عنه.

الأعراب في اللغة والمصادر التاريخية:

جاء في لسان العرب: (عرب) العُربُ والعَربُ جيل من الناس معروف خلاف العَجمَ ... والعربي منسوب الى العرب وان لم يكم بدويا والاعرابي البدوي وهم الاعراب والاعاريب جمع الاعراب ... وقيل ليس الاعراب جمعا لعرب وانما العرب اسم جنس والنسب الى الاعراب اعرابي ... ورجل اعرابي بالألف اذا كان بدويا صاحب نجعة * وانتواء* وارتياد للكلأ وتتبع لمساقط الغيث سواء كان من العرب او من مواليهم ... والاعرابي اذا قيل

له يا عربي فرح بذلك وهش له والعربي اذا قيل له يا اعرابي غضب له فمن نزل البادية او جاور البادين وظعن* بظعنهم وانتوى بانتوائهم فهم اعراب ومن نزل بلاد الريف واستوطن المدن والقرى العربية وغيرها فهم عرب وان لم يكونوا فصحاء[١].

الاعراب طبقة من طبقات المجتمع العربي يسكنون الصحراء ويتتبعون مواقع المطر واماكن الكلأ، وفي عهدي الدعوة الاسلامية المكي والمدني، وعلى الخصوص في العهد المدني، كان لهم حضور واسع في الاحداث التي شهدتها تلك الفترة، وهي في الغالب رسمت انطباعا سلبيا حول موقفهم من الدعوة الاسلامية ومن الدولة الاسلامية الناشئة في المدينة ومن المسلمين عموما، والسبب الاكبر في ذلك يعزى للطباع والصفات الانسانية التي كانت متوفرة فيهم، والتي تميزت بالجفاء والغلظة والقسوة وتبلد المشاعر، وتغليب المصالح والمطامع الشخصية والقبلية على اي قضية اخرى.

ومن ذلك ما رواه ابن هشام في السيرة عندما اخذ النبي ﷺ يعرض الاسلام على القبائل القادمة الى مكة في مواسم التجارة ومواسم الحج، ويطلب منهم النصرة والايواء حتى يبلغ رسالته للناس ويدعوهم الى الدين الحق وكان من بين تلك القبائل قبيلة بني عامر بن صعصعة فدعاهم الى عبادة الله وحده لا شريك له وعرض عليهم نفسه لكي يؤوه وينصروه حتى يبلغ كلام الله للناس جميعا، فقال رجل منهم يقال له بيحرة بن فراس: والله لو اني اخذت هذا الفتى من قريش لأكلت به العرب. فقال له: أرأيت ان نحن بايعناك على امرك ثم اظهرك الله على من خالفك، أيكون لنا الامر من بعدك ؟ فقال له ﷺ: الامر الى الله يضعه حيث يشاء. فقال له : أفتُهدَف نحورنا للعرب دونك، فاذا أظهرك الله كان الامر لغيرنا؟ لا حاجة لنا بأمرك فأبوا عليه[٢].

وبكل تأكيد كان لظروف حياتهم الصعبة وتنقلهم المستمر وعدم استقرارهم في مكان وحياة الغزو والسلب والنهب التي كانت سائدة بين تلك الاقوام اثر كبير في تركيبة شخصياتهم وصفاتهم، فهذه الصفات والطباع جعلت منهم عقبة كؤود امام الدعوة الاسلامية والدولة الاسلامية.

فقد كانوا يمارسون احيانا دور العدو العلني لهذا الدين واصحابه ودولته ان رأوا ان أعداء المسلمين لديهم قوة ومنعه، وان المسلمين

(١) - ينظر : لسان العرب - محمد بن مكرم بن منظور الافريقي (ت٧١١) - ط٣ - دار صادر - بيروت - ١٤١٤ هـ - ج١ - ص٥٨٦.
* - النجعة: المذهب في طلب الكلأ
* - الانتواء : البعد
* - ظعن : سار

(٢) ينظر : السيرة النبوية - عبد الملك بن هشام بن ايوب - تحقيق : مصطفى السقا وابراهيم الابياري وعبد الحفيظ شلبي - ط٢ - مكتبة مصطفى البابي الحلبي - مصر - ١٩٥٥ - ج١ - ص ٤٢٤

في حالة ضعف وهزيمة، ومن ذلك ما حدث بعد خسارة المسلمين في معركة أحد فتجرأت بعض القبائل الاعرابية على غزو المدينة ونهبها لظنهم بان امر المسلمين قد انتهى وان النصر لمشركي قريش.

فقامت بعض تلك القبائل ومنها بنو اسد بن خزيمة بقيادة طليحة الاسدي وبنو هذيل بقيادة خالد بن سفيان الهذلي بالاستعداد والتجمع لغزو المدينة ونهبها والانقضاض على المسلمين وقتلهم ولكن الرسول ﷺ تنبه لهم وافشل مخططاتهم(١).

واحيانا يمارسون دور المهادن المسالم للدولة الاسلامية وللمسلمين والراغب في اعتناق الاسلام وتعلم احكامه ولكنه في الحقيقة يتربص الفرص للغدر بهم والانقضاض عليهم.

ومن ذلك غدر أعراب بني سليم وبني لحيان بالمسلمين حين قتلوا نفر من الصحابة كان قد ارسلهم النبي ﷺ معهم وبناءً على طلبهم ليعلموهم الاسلام والقرآن في الحادثتين الاليمتين المعروفة بحادثتي الرجيع وبئر معونة(٢) .

واحيانا يمارسون دور المنافق الذي يتظاهر بالإسلام، اما طمعا في غنيمة او مصلحة او خوفا من القتل والسبي والنفي، ولكنه في الحقيقة لا يبالي بالإسلام ولا بالدين ولا باي قضية اخرى غير المصالح الشخصية والقبلية.

ومن ذلك ارتداد الكثير من تلك القبائل الاعرابية مثل قبائل اسد وغطفان وعبس وذبيان وبكر وبنو حنيفة وغيرهم عن الاسلام بعد وفاة الرسول ﷺ، فمنهم من ارتد عن الاسلام جملة وتفصيلا ومنهم من ادعى النبوة، ومنهم من جعلوا سبب ردتهم دفع الزكاة رافضين اياها(٣) . فالمال والمصالح الشخصية والقبلية هما همهم اولاً وآخراً.

وقلة منهم خالط الايمان قلوبهم واندمجوا مع الدين الجديد وصدقوا الله تعالى ورسوله ﷺ وجاهدوا مع المسلمين واخلصوا لدولتهم، مثل قبائل اسلم وغفار ومزينة واشجع وجهينة التي حاربت ضد المرتدين ووقفوا مع اخوانهم في الدين والعقيدة ومع دولتهم الاسلامية فصدقوا في اسلامهم وثبتوا عليه(٤) .

لقد عانت الدولة الاسلامية وخاصة في بداية عهد الرسول ﷺ، وايضا في عهد ابي بكر الصديق رضي الله عنه، الكثير من الازمات والمشاكل والتهديدات، بسبب هؤلاء الأعراب

(١) ينظر : السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل احداث - علي محمد الصلابي - ط٣ - دار المعرفة - بيروت - ٢٠٠٥ - ص٥٢٨- ٥٢٩

(٢) ينظر: المغازي - محمد بن عمر بن واقد الواقدي - تحقيق : مارسدن جونس- ط٣ - دار الاعلمي - بيروت - ١٩٨٩ - ج١ - ص٣٤٦-٣٥٨

(٣) ينظر : ابو بكر الصديق شخصيته وعصره - علي محمد الصلابي - ط٢ - دار ابن كثير - دمشق - ٢٠٠٥ - ص ٢١٠ - ٢١٧

(٤) ينظر : الثابتون على الاسلام ايام فتنة الردة- مهدي رزق الله - دار طيبة - الرياض - ١٩٩٦ - ص٢١

وكادوا في احيانا كثيرة ان يفتكوا في الدولة الاسلامية، لدرجة ان كل الصحابة رضوان الله عليهم، اعترضوا على ابي بكر الصديق عندما اصر على انفاذ جيش اسامة بن زيد رضي الله عنه، والذي اعده رسول الله ﷺ قبيل وفاته لمحاربة الروم، وتوفي عليه الصلاة والسلام قبل ان يسير الجيش من المدينة، وكان سبب الاعتراض، الخوف على الدولة الاسلامية بأكملها من الابادة على يد اولئك الاعراب المرتدين الذين يحيطون بالمدينة ويتربصون بها وبالمسلمين ينوون غزوها ونهبها، ولكن ابا بكر رضي الله عنه، اصر على انفاذ هذا الجيش وقتال المرتدين في نفس الوقت [١] .

فكان هؤلاء الاعراب (بين كافر غادر، وبين مسلم منافق يتربص بالمسلمين الدوائر، وبين مؤمن تقي طاهر)[٢] .

وايضا كان لهم دور كبير في الاحداث التي ادت الى مقتل سيدنا عثمان رضي الله عنه، والاحداث التي شهدتها الدولة الاسلامية فيما بعد من الحروب والاقتتال والخروج عن الطاعة والبيعة ورفد الفرق المارقة من الدين كالسبئية والخوارج وغيرهم بالأتباع[٣] .

(لقد كان جل الخوارج من اجلاف البادية وقساة الاعراب، فلم يكن لشيء من موازين العلم، وما تستدعيه من تحلم واناة، من سبيل الى عقولهم او نفوسهم، فكان لا بد ان يستسلموا لرعوناتهم النفسية وجلافتهم الطبيعية، وقد تجلى ذلك في تكفيرهم لعلي بسبب قبوله التحكيم، وانبثق عن موقفهم هذا تكفيرهم الناس بارتكاب الكبائر، بل ذهب كثير منهم الى التكفير بارتكاب المعصية، مهما كانت ولا تزال اثار هذا التطرف ممتدة الى عصرنا هذا)[٤] .

ذلك انهم كانوا يسيرون وراء كل ناعق ينعق ويغدق عليهم بالمال او يعدهم بالغزو ويمنيهم بالغنائم، وكانوا يسيرون وراء الكثير من اصحاب الفتن بغية الحصول على مكاسب شخصية وقبلية وذلك كله يعود الى جشعهم الذي لا حدود له وقسوة قلوبهم وغلظتهم وانعدام ايمانهم والنفاق الذي خالط قلوبهم .

وقد حذر النبي ﷺ في احاديث عدة من هؤلاء الاعراب ومن شخصياتهم وطبيعتهم

(١) ينظر : الكامل في التاريخ - أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الجزري ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ) - تحقيق : عمر عبد السلام تدمري - دار الكتاب العربي - بيروت - ١٩٩٧- ج٢ - ص١٩٥ وينظر ايضا: ابو بكر الصديق شخصيته وعصره - ص ١٩٣ - ١٩٤ - مصدر سليق

(٢) خاتم النبيين ﷺ محمد ابو زهرة - دار الفكر العربي - القاهرة - ١٤٢٥ ه - ج٣ - ص ٨٥٥

(٣) ينظر : البداية والنهاية - ابو الفدا اسماعيل بن عمر بن كثير - تحقيق: علي شيري - دار احياء التراث - بيروت - ١٩٨٨ - ج ٧ - ص ٢٥٥ وينظر ايضا : علي بن ابي طالب شخصيته وعصره - علي محمد الصلابي - ط٢ - دار ابن كثير- دمشق - ٢٠٠٥ - ص ٤٨٠

(٤) فقه السيرة - محمد سعيد رمضان البوطي - دار الفكر - دمشق - ١٤٢٦ هـ- ص٣٧٩

المتقلبة والتي تدور حول المصالح وليس حول قضية الدين او العقيدة.

فكان محرما على المسلم المهاجر ان يترك المدينة والتمدن ويعود الى حياة الاعراب والبدو لما لها من تأثير كبير على ضعف الايمان وضعف العقيدة لدى المسلم وعلى تدني مستوى الفكر والسلوك في النفس الانسانية ايضا.

جاء في الحديث الذي رواه الامام احمد في مسنده : (آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهداه إذا علموا به والواشمة والمستوشمة للحسن ولآوي الصدقة والمرتد أعرابيا بعد هجرته ملعونون على لسان محمد ﷺ يوم القيامة)(١).

ومن اجل هذا ورد عن سلمة بن الاكوع رضي الله عنه انه دخل على الحجاج فقال له الحجاج : يا ابن الاكوع ارتددت على عقبيك تعربت. قال : لا، ولكن رسول الله ﷺ أذن لي في البدو)(٢).

وجاء في شرح مصطفى البغا على هذا الحديث: ومعنى ارتددت على عقبيك، اي خرجت من دار هجرتك من غير عذر، وكانوا يعدون هذا كالمرتد، والتعرب هو الاقامة في البادية، والسكنى مع الاعراب، وكان يحرم على المهاجر ان ينتقل من دار هجرته الى البادية .

وجاء في الحديث ايضا: (من سكن البادية جفا، ومن اتبع الصيد غفل، ومن اتى السلطان افتتن)(٣).

وفي شرح حديث (من سكن البادية جفا) يقول الطيبي: (جفا الرجل اذا غلظ قلبه وقسا ولم يرق لبر وصلة رحم، وهو الغالب على سكان البوادي، لبعدهم عن اهل العلم وقلة اختلاطهم بالناس، فصارت طباعهم كطباع الوحوش)(٤) .

ذكر الأعراب في القرآن الكريم

ورد ذكر الاعراب في القرآن الكريم في عشر آيات، اما الآيات التي تحدثت عن المواضيع المتعلقة بهم وببيان صفاتهم وطبيعتهم واحكامهم والرد عليهم، فقد شغلت حيزا واسعا من القرآن الكريم، ذلك انهم كانوا يشكلون شريحة واسعة في المجتمع العربي حينذاك، وقد لعبوا دورا كبيرا وخطيرا في الاحداث التي رافقت نشوء الدولة الاسلامية، وتمحور حولها العديد من الاحداث التي جرت ابان نزول القران الكريم، وفي عهد

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل- أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني - حققه وخرجه : شعيب الارنؤوط - مؤسسة قرطبة - القاهرة - بدون ت - ج١ - ص ٤٠٩ - رقم الحديث ٣٨٨١- وقد علق عليه الشيخ شعيب الارنؤوط بقوله اسناده صحيح على شرط الشيخين

(٢) صحيح البخاري - محمد بن اسماعيل البخاري - تحقيق: مصطفى ديب البغا- ط٣ - دار ابن كثير - بيروت - ١٩٨٧- ج٦ - ص٢٥٩٧ - رقم الحديث ٦٦٧٦

(٣) مسند الامام احمد - ج٥ - ص ٣٦١- رقم الحديث ٣٣٦٢ - مصدر سابق- وقد علق الارنؤوط على الحديث بقوله حسن لغيره.

(٤) ينظر: شرح الطيبي على مشكاة المصابيح - شرف الدين الحسين بن عبدالله الطيبي (ت ٧٤٣) - تحقيق: عبد الحميد هنداوي - مكتبة نزار مصطفى الباز - مكة المكرمة - ١٩٩٧ - ج٨ - ص٢٥٨

الخلفاء الراشدين ايضا وبعدهم .

ويمكن ان نحصر المواضيع العامة التي تحدث عنها القرآن الكريم بخصوص الاعراب الى ما يلي :

١- توفر صفات الكفر والنفاق فيهم:

يقول سبحانه وتعالى في سورة التوبة : **(وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)**[1].

في هذه الآية، وصف صريح لأولئك الاعراب بالكفر، بسبب اعمالهم وتصرفاتهم ونقضهم العهود مع الرسول ﷺ بالمسير للجهاد معه ونصرته ونصرة دينه وقضيته.

ولكن حين جد الجد، وحان وقت الجهاد والقتال في مكان بعيد عن المدينة، وفي ايام شديدة الحر، ضد عدو قوي وخطير، وهم الروم، جاء قسم من اولئك الاعراب، الى الرسول ﷺ يختلقون الاعذار الواهية، والحجج الكاذبة، للتملص والتخلف عن المسير للجهاد والقتال مع المسلمين، وفي وقت كان فيه المسلمين بأمس الحاجة الى العدة والعدد، وذلك لبعد المكان، ولخطورة وقوة العدو، وكثرة اعدادهم، وهم- الاعراب والمنافقون من اهل المدينة- بتصرفهم وسلوكهم الارعن هذا، لا يعون انهم انما يفضحون انفسهم، ويكشفون عن نواياهم ومبتغاهم الحقيقي من الانضواء تحت راية الاسلام والدولة الاسلامية.

بل ان قسما منهم لم يكلفوا انفسهم اصلا عناء تقديم الاعذار، وان كانت كاذبة، وانما اختاروا السلوك الاخر الاشد فحشا وقبحا وكفرا، وهو التعامل مع الموضوع وكان الامر لا يعنيهم ولا يخصهم، فلم يكلفوا انفسهم حتى مجرد تقديم عذر، اي عذر وان كان كاذبا.

والسياق الذي تتحدث عنه هذه الآية، وآيات اخر جاءت قبلها وبعدها، هو موضوع غزوة تبوك، والاحداث والمواقف التي جرت اثناء التهيئة للمعركة.

لقد غطى القران الكريم مساحة واسعة في موضوع التهيئة لمعركة تبوك يفوق اي معركة اخرى، وجعل الالتحاق بجيش المسلمين في هذه المعركة، الحد الفاصل بين الايمان والكفر، ذلك ان هذه المعركة كانت الفيصل الذي يميز الخبيث من الطيب، الفيصل الذي يميز بين المسلمين المؤمنين الصادقين الحقيقين، وفئات اخرى كفئة المنافقين من اهل المدينة، وفئة الاعراب الذين ادعو الدخول للإسلام، بعد ان قويت شوكة المسلمين واصبحوا هم الجهة الاقوى في شبه الجزيرة العربية، فكان دخول الفئة الاعظم من هؤلاء الاعراب تحت راية الاسلام طمعا في الغنائم التي يمكن ان ينالوا نصيبا منها، ذلك ان العدو فيما مضى هم

(١) التوبة - ٩٠

من القبائل العربية الاخرى، من اهل الشرك، او من اليهود الاثرياء الذين يسكنون في شبه الجزيرة العربية، اما وقد اضحى العدو الان الامبراطورية الرومانية التي كانت في ذلك الوقت اعتى واقوى الامبراطوريات التي تحكم العالم، فالأمر مختلف، ولهذا جاءت الحكمة الالهية في هذا الموضوع لينبه الرسول ﷺ، وينبه المسلمين الى حقيقة هؤلاء الاعراب وحقيقة دخولهم الاسلام .

جاء في تفسير الامام مقاتل بن سليمان لهذه الاية : (وجاء المعذرون من الاعراب، الى النبي ﷺ ليؤذن لهم بالقعود، وهم خمسون رجلا منهم ابو الخواص الاعرابي، وقعد عن الغزو الذين كذبوا الله، يعني بتوحيد الله، وكذبوا برسوله انه ليس برسول)[١] .

وجاء في تفسير الواحدي: (قال محمد بن اسحاق: هم اعراب من بني غفار، اعتذروا فلم يعذرهم الله. وقال ابو عمرو بن العلاء كلا الفريقين كان مسيئا، جاء قوم فعذروا، وجنح آخرون فقعدوا، فهم قوم تكلفوا عذرا بالباطل، وهم الذين عناهم الله بقوله: (وجاء المعذرون)، وتخلف آخرون من غير تكلف عذر واظهار علة، جرأة على الله ورسوله، وهو قوله تعالى: (وقعد الذين كذبوا الله ورسوله) يعني لم يصدقوا في ايمانهم وهم المنافقون الذين اوعدهم الله سبحانه بقوله: (سيصيب الذين كفروا منهم عذاب اليم))[٢] .

وجاء في الكشاف: (المعذرون بالتخفيف وهو الذي يجتهد في العذر ويحتشوا فيه ... قيل: هم اسد وغطفان، قالوا: ان لنا عيالا وان بنا جهدا فأذن لنا في التخلف . وقيل هم رهط عامر بن الطفيل قالوا: ان غزونا معك اغارت اعراب طيء على اهالينا ومواشينا. فقال لهم ﷺ: سيغنيني الله عنكم . وعن مجاهد: انهم نفر من غفار اعتذروا فلم يعذرهم الله تعالى . وعن قتاده: اعتذروا بالكذب ... (وقعد الذين كذبوا الله ورسوله) هم منافقو الاعراب الذين لم يجيئوا ولم يعتذروا، وظهر بذلك انهم كذبوا الله ورسوله في ادعائهم الايمان ... (سيصيب الذين كفروا منهم) اي الاعراب (عذاب اليم) في الدنيا بالقتل، وفي الآخرة بالنار)[٣] .

وباستثناء من ذكرهم الله تعالى في الآية التي بعدها في قوله: **(لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ**

(١) تفسير مقاتل بن سليمان - ابو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الازدي البلخي (ت ١٥٠ هـ) تحقيق : عبدالله محمود شحاته - دار احياء التراث - بيروت - ١٤٢٣ هـ - ج ٢ - ص ١٨٩

(٢) الوسيط في تفسير القرآن المجيد - ابو الحسن علي بن احمد بن محمد الواحدي النيسابوري (ت ٤٦٨ هـ) تحقيق وتعليق : عادل احمد عبد الموجود واخرون - دار الكتب العلمية - بيروت - ١٩٩٤ - ج ٢ - ص ٥١٧

(٣) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل - ابو القاسم محمود بن عمر الزمخشري - تحقيق: عبد الرواق مهدي- دار احياء التراث العربي - بيروت - بدون ت - ج٢ - ص ٢٨٦

حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٩١) وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ)(١). فانه سبحانه وتعالى لم يقبل العذر من احد. نجد هذا في قوله سبحانه وتعالى: **(مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ)**(٢).

وايا كان المقصود بالمعنى على وجه الدقة في هذه الآية والذي اختلف فيه المفسرون كما راينا، فان معناها يتسع لهم جميعا، فهم جميعا خذلوا الله تعالى ورسوله والمسلمين، وظهر نفاقهم وكفرهم وكذبهم، وابان عن معدنهم وحقيقة ادعائهم الاسلام ونصرتهم لرسول الله ﷺ وللمسلمين، وقد وصفهم الله سبحانه وتعالى بالكفر وتوعدهم عذابا اليما في الدنيا والاخرة .

وفي قوله تعالى: **(الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)**(٣).

جاء في تفسير الطبري لهذه الآية: (الاعراب اشد جحودا لتوحيد الله، واشد نفاقا، من اهل الحضر في القرى والامصار. وانما وصفهم الله تعالى بذلك لجفائهم، وقسوة قلوبهم، وقلة مشاهدتهم لأهل الخير، فهم لذلك اقسى قلوبا، واقل علما بحقوق الله تعالى)(٤) .

نجد هنا التأكيد على صفة الكفر لدى الاعراب لما بدر منهم من افعال وردود افعال تكشفت حقيقتها للمسلمين في مناسبات ومواقف كثيرة، (فكثير من الروايات يكشف عن طابع الجفوة في نفوس الاعراب، حتى بعد الاسلام، فلا جرم ان يكون الشأن فيهم ان يكونوا اشد كفرا ونفاقا واجدر الا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله، لطول ما طبعتهم البداوة بالجفوة والغلظة، عندما يقهرون غيرهم، او بالنفاق والالتواء عندما يقهرهم غيرهم، وبالاعتداء وعدم الوقوف عند الحدود بسبب مقتضيات حياتهم في البادية)(٥) .

ومن ذلك ما رواه الواقدي عن تكالب الاعراب على النبي ﷺ بعد ان فرغ من تقسيم غنائم معركة حُنين بينهم- بأسلوب يظهر مدى جفائهم وغلظتهم وطمعهم وجشعهم وعدم

(١) التوبة - الآيتان ٩١ - ٩٢
(٢) التوبة - ١٢٠
(٣) التوبة - ٩٧
(٤) تفسير الطبري - محمد بن جرير الطبري(ت ٣١٠) - تحقيق: احمد محمد شاكر - مؤسسة الرسالة - بيروت - ٢٠٠٠ - ج١٤ - ص٤٢٩ .
(٥) في ضلال القرآن - سيد قطب - ط ٣٤ - دار الشروق - مصر - ٢٠٠٤ - ج٣ - ص ١٧٠٠

امتثالهم او حتى معرفتهم بأحكام واوامر الله تعالى للمسلمين، بتوقير النبي ﷺ وهيبته، ويظهر ايضا زيف ادعائهم للإسلام واعتناقهم له، ويبين غرضهم الحقيقي من التحاقهم بالدولة الاسلامية، يقول الواقدي: (وجعلت الاعراب في طريقه يسألونه، وكثروا عليه حتى اضطروه الى سمرة (شجرة) فخطفت رداءه فنزعته عن مثل شقة القمر، فوقف رسول الله ﷺ وهو يقول: أعطوني ردائي! أعطوني ردائي! لو كان عدد هذه العضاة نعما، لقسمته بينكم، ثم لا تجدوني بخيلا ولا جبانا ولا كذابا)[١].

ومن هذه الآية يحدد محمد ابو زهرة ثلاثة اوصاف لأولئك الاعراب:

أولها: أنهم أشد كفرا.

وثانيها: أنهم أشد نفاقا، وأفعل التفضيل ليس على بابه، لأنه لم يذكر الفضل عليه، وحيث لم يذكر الفضل عليه يكون المعنى أنه كفر بلغ أقصاه وأشد أحواله فهو كفر يلتقى فيه الجحود، وعدم التفاهم، والجهل الشديد، والغلظة الجافية، ونفاقهم ليس كنفاق أهل المدينة، ولكن نفاقهم يكون بعدم الإيمان المطلق مع التسليم الظاهر، وهم كما قال الله تعالى: **(قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ)**[٢].

والوصف الثالث: إنهم بإقامتهم في البادية كانوا جديرين وخلقاء ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله بألا يعرفوا أحكام الشريعة والفرائض، وتوابعها وأحكام الجرائم، وعقوباتها، والمحرمات من النساء والأنكحة والمواريث، وغير ذلك من أحكام الشريعة التفصيلية..(وَأَجْدَرُ) أفعل تفضيل على غير بابه، إذ إن المفضل عليه غير موجود، والمعنى أنهم لبعدهم عن المدائن والقرى حيث العلم والفقه - صاروا في أغلب الأحوال جديرين بالبعد عن العلم بحدود الله تعالى. فهؤلاء الأعراب لا علاقة لهم بالمجتمع، ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر[٣].

وفي قوله سبحانه وتعالى في سورة التوبة: **(وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ)**[٤].

نص صريح وحكم قاطع، لأولئك الاعراب بانهم منافقون، لا حقيقة لإيمانهم، فيحذر الله سبحانه وتعالى رسوله ﷺ منهم.

وقد نزلت في قبائل جهينة ومزينة وغفار واشجع واسلم الذين كانوا نازلين حول المدينة[٥].

(١) مغازي الواقدي - ج٣ - ص٩٤٢ - مصدر سابق
(٢) الحجرات - من الاية ١٤

(٣) ينظر: زهرة التفاسير - محمد ابو زهرة - دار الفكر العربي - القاهرة - بدون ت - ج٧ - ص٣٤٢٢ .
(٤) التوبة ١٠١
(٥) ينظر: فتح الرحمن في تفسير القرآن - مجير الدين بن محمد المقدسي (ت ٩٢٧) - تحقيق : نور الدين طالب - دار النوادر - ٢٠٠٩ - ج٣ - ص ٢٣٥

وبينت هذه الآية للرسول ﷺ ان تلك الفئة من المنافقين سواء من الاعراب المحيطين بالمدينة، او من داخل المدينة نفسها، قد تمرسوا وتمرنوا على النفاق واصبح هو دينهم وديدنهم، وانهم باتوا يجيدون هذه الدناءة وهذا الخلق الرذيل، حتى انك يا محمد ﷺ لا تكاد تعلمهم ولكن الله يعلمهم، وسيفضحهم في الدنيا قبل الاخرة، فلا يجب ان تطمئن لهم يا محمد - ﷺ - بل ان تأخذ الحذر منهم دائما، وان الله سبحانه وتعالى قد توعدهم بنوعين من العذاب ثم يردون الى عذاب جهنم وبئس المصير.

وقد ورد ان المقصود بالعذابين في الدنيا هنا هما القتل وعذاب القبر(١). وقيل هما فضيحتهم في الدنيا وعذاب القبر(٢). وقيل غيرهما .

ان السياق الذي جاءت فيه هذه الآية يدور كله حول معركة تبوك، وما جرى اثناء الاستعداد للمعركة، وما جرى بعدها، تلك المعركة التي كانت الشرارة والمنطلق لنقل الدعوة الاسلامية من المحلية الى العالمية، من خلال الانتقال من مواجهة مشركي العرب او اليهود القاطنين في شبه جزيرة العرب، الى مواجهة الامبراطوريات التي كانت تحكم العالم آنذاك، فكان من حكمة الله سبحانه وتعالى ان تقع هذه الاحداث كلها ويتعرف الرسول ﷺ والمؤمنون معه على صنوف الناس حولهم وعلى حقيقة اسلامهم وايمانهم ومن الذي يكون عليه الاعتماد ومن الذي يحمل هم الدين ونشر الرسالة (فكأن الله سبحانه وتعالى اراد بهذا ان يكشف ارض الحركة كلها وما عليها ومن عليها لرسوله ﷺ ومن معه من المؤمنين الخلص هذا الكشف النهائي الكامل قرب نهاية المطاف في الجولة الاولى لهذا الدين في موطنه الاول قبل ان ينطلق الى الارض بإعلانه العام بالعبودية لله وحده والدينونة له وحده ... فهذا التكشف ضروري لكل خطوة حتى يعرف اصحاب الحركة موضع اقدامهم في كل خطوة في الطريق)(٣) .

وفي سورة الفتح: **(سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا)**(٤).

جاء في تفسير هذه الآية: (لما اراد النبي ﷺ الخروج الى مكة عام الحديبية، استنفر من حول المدينة من اعراب غفار ومزينة وجهينة واسلم، فقعدوا عنه، وقالوا فيما بينهم: نذهب معه الى قوم جاءوه فقتلوا اصحابه نخرج اليهم فنقاتلهم في دارهم، فاخبر الله تعالى نبيه بما يقول هؤلاء بقوله تعالى: (سيقول لك

(١) المصدر نفسه - ج٣ - ص ٢٣٥
(٢) تفسير الطبري - ج١٤ - ص ٤٤٢ - مصدر سابق
(٣) في ضلال القرآن - ج٣ - ص ١٧٠٢ - مصدر سابق
(٤) الفتح ١١

المخلفون) وهم الذين خلفهم الله تعالى عن صحبة نبيه ﷺ، ولم يقل المتخلفون، ذلك ان تخلفهم كان بغضا من الله تعالى لهم، وانه هو الذي خلفهم ... قال ابن عباس: ولم يكن شغلهم الا الشك بالله تعالى، ذلك انهم شكوا في نصرة الله تعالى لرسوله ﷺ)[١] .

وهذا موقف اخر يدلل على الكفر والنفاق المتفشي لدى اولئك الاعراب، فعندما تطلب منهم دولتهم التي انضووا تحت لواءها، ونبيهم الذي زعموا انهم امنوا به وصدقوه، وقضيتهم التي ادعوا انهم حملوها وسينصرونها؛ امرا طارئا ومستعجلا، او امرا قد يكون محفوفا بالمخاطر، هنا ينسحبوا ويظهروا كفرهم ونفاقهم ويتحججوا بحجج واهية كاذبة، وعندما يفضحهم الله سبحانه وتعالى وينزل قرآنا يبين حقيقتهم، يأتون الى النبي ﷺ بعد رجوعه من الحديبية محققا انتصارا كبيرا من خلال الصلح الذي تم عقده مع قريش- يرجون العفو والمغفرة، وحتى طلب العفو والمغفرة هذا، هم ليسوا بصادقين فيه، ذلك انهم ليسوا الا منافقين **(يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ)**[٢].

فلا العفو من رسول الله ﷺ يهمهم، ولا المغفرة من الله تعالى تشغل بالهم وتؤرقهم، بل انهما لا يعنيان لهم شيئا، فالأمر لا يتعدى يقينهم بان الرسول ﷺ ومن معه من المؤمنين الصادقين، اصبحوا هم القوة الاقوى في المنطقة، وان موضوع بسط سيطرتهم ونفوذهم على غيرهم من المدن والقرى والقبائل الاخرى باتت قريبة ومحسومة، هنا ادركوا ان الطريق الى المغانم والمال اصبح قريبا، فجاؤوا يطلبون العفو والمغفرة.

ولكن الله سبحانه وتعالى فضحهم مرة اخرى، وكشف نفاقهم ونواياهم واهدافهم، فوجه النبي ﷺ الى ما سيقوله هؤلاء الاعراب، والى الحكم عليهم، والى طريقة التعامل معهم، من خلال قوله تعالى: **(سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا (١٥) قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا)**[٣].

وقد تحقق الوعد، وتم الامر، وصدق الله العظيم، فبعد هذه الحادثة دعي هؤلاء الاعراب

(١) التفسير البسيط - ابو الحسن علي بن احمد الواحدي (ت ٤٦٨ ه) - تحقيق : لجنة علمية في جامعة الملك محمد بن سعود - الناشر جامعة الملك محمد بن سعود الاسلامية - ١٤٣٠ هـ - ج٢٠ - ص ٢٩٤ - ٢٩٥

(٢) الفتح من الآية ١١

(٣) الفتح - الآيتان ١٥ - ١٦

للخروج لقتال أولي البأس الشديد الذين ذكرتهم الآية، وهم الامبراطورية الرومانية في تبوك، ولكنهم وكما اخبر الله تعالى عنهم، وكما هي عادتهم، خذلوا المسلمين مرة اخرى وقعدوا عن المشاركة في هذا الغزو، ليتأكد للجميع ويتحقق مدى كفرهم ونفاقهم.

٢- التربص بالمسلمين:

قال تعالى: **(وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)**[١].

جاء في تفسير هذه الآية: (ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق مغرما اي لا يرجو ثوابا على انفاقه ولا يخاف من امساكه انما هو ينفق خوفا او رياء للمسلمين ولم يرد بذلك الانفاق وجه الله تعالى وثوابه، ويتربص يعني: ينتظر ان تحل بالمسلمين الدوائر اي تقلب الزمان وصروفه التي تأتي بالخير مرة وبالشر مرة، فيموت الرسول ويظهر المشركون على المسلمين... وقد نزلت هذه الآية في اعراب اسد وغطفان وتميم)[٢].

ويستمر الله سبحانه في تحذير الرسول ﷺ، وتحذير المسلمين من هؤلاء الاعراب المنافقين الكفرة، فاضحا اسرارهم ونواياهم واعمالهم، ويبين سبحانه وتعالى لرسوله ﷺ وللمسلمين، انه حتى المال الذي يدعون انهم ينفقونه في سبيل الله، فحقيقته ليست كذلك، وانما هم مجبرين على هذا الامر، اما خوفا او رياء، جاء في تفسير المنار: (ولم يكن هؤلاء الاعراب المنافقون يرجون بهذه النفقة جزاء في الاخرة ، لانهم لا يؤمنون بالبعث)[٣] .

بل انهم مضطرون للمساهمة بهذا المال في الزكاة، او في غزوات المسلمين، ليتظاهروا بالإسلام، وليستمتعوا بمزايا الحياة في المجتمع المسلم، والدولة الاسلامية التي يعيشون في كنفها، وهم يعدون ما ينفقونه من مال غرامة وخسارة يؤدونها كارهين، وليس حبا بالله ورسوله[٤].

وانهم يتربصون بالمسلمين سوءا يحل بهم ليتخلصوا منهم، ومن النظام العادل الذي جاء به الاسلام، وقيم العدل والحق والاخلاق التي نشرها، فهم لا يطيب لهم هذا ولا يجدون حياتهم وسلوكهم وطباعهم منسجما مع هذه التكاليف التي جاء بها هذا الدين، من جهاد وصلاة وزكاة وصيام وصدقة واحسان، ذلك انهم الفوا حياة النهب والسبي، وسلب الناس، والاغارة على غيرهم من القبائل التي يجدون

(١) التوبة - ٩٨

(٢) لباب التأويل في معاني التنزيل - علاء الدين علي بن محمد بن ابراهيم المعروف بالخازن (ت ٧٤١ هـ) - تحقيق: محمد علي شاهين - دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٥ هـ - ج٢ - ص ٣٩٨

(٣) تفسير المنار - محمد رشيد ين علي رضا (ت ١٣٥٤ هـ) - الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر - ١٩٩٠ - ج١١ - ص٩

(٤) في ضلال القرآن - ج٣ - ص١٧٠١ - مصدر سابق

فيها ضعفا، وحياة الفسوق والمجون وشرب الخمور التي كانوا يعيشونها، ولهذا فهم ينتظرون ويتحينون الفرص، لكي يتخلصوا من هذا الدين ومن رسوله ومن المسلمين.

وهذا الشعور والرغبة المكبوتة في نفوسهم، وحلم التخلص من المسلمين بان تدور الدائرة عليهم، فيظهر عليهم مشركو قريش او اليهود او غيرهم، قد فضحه الله تعالى وبينه في هذه الآية، ورد عليهم بان احلامهم وامانيهم لن تتحقق ابدا، بل العكس هو ما سيحدث، وان نصر الله تعالى لرسوله وللمؤمنين قائم لا محالة، وان دائرة السوء ستقع عليهم هم في الدنيا قبل الاخرة.

٣- توفر صفة الايمان في بعضهم :

بعد ان بين الله سبحانه وتعالى صنفين من الاعراب، جاء دور الصنف الثالث، وهم وان كانوا اقلية، الا ان هذا لا يمنع ان يذكرهم الله سبحانه وتعالى، وينوه بهم وبإيمانهم وصدقهم، وانه تعالى يعدهم برحمة منه واسعة.

يقول سبحانه: **(وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرُبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)**[1].

جاء في تفسير المنار حول هذه الآية: (... ولما ذكر حال هؤلاء الاعراب المنافقين، عطف عليه ببيان حال المؤمنين الصادقين منهم، فقال: **(وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ)** ايمانا صادقا اذعانيا، تصدر عنه اثاره من العمل الصالح.

قال مجاهد: هم بنو مقرن من مزينه ... وقال الكلبي: هم اسلم وغفار وجهينة ومزينة. وَثَمَ روايات اخرى فيهم. والنص يشمل جميع المؤمنين الصادقين منهم ومن غيرهم من الاعراب، وقد ذكر من وَصفِهم ضد ما ذكره في وصف من قبلهم في امر النفقة في سبيل الله، فقال: **(وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرُبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ)** اي يتخذ ما ينفق وسيلة لأمرين عظيمين، اولهما: القربات والزلفى عند الله عز وجل، وثانيهما: صلوات الرسول ﷺ اي ادعيته، لأنه ﷺ كان يدعو للمتصدقين ويستغفر لهم... فهذا القصد في اتخاذ الصدقات ضد اتخاذ المنافقين - من الاعراب- اياها مغرما ... وقد بين الله تعالى جزاء هؤلاء الاعراب، على ما يشهد لهم به من صدق الايمان، واخلاص النية في الانفاق في سبيل الله، وادائهم به حق الله، وهو قصد القربة عنده، وحق الرسول، وهو طلب دعائه لهم بقبول نفقته واثابتهم عليها... وقوله تعالى: **(سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ)** تفسير لهذه القربة، والمراد بالرحمة هنا الرحمة الخاصة بمن رضي الله عنهم، وهي هداية الصراط المستقيم ... وهذا ابلغ من مثل **(يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ)** ذلك ان السين في قوله سيدخلهم لتأكيد

(١) التوبة ٩٩

الوعد وتحقيقه ... وفي الآية من بلاغة الايجاز ما يدل على علو مقام هؤلاء الاعراب)[١].

وجاء في تفسير الطبري عن الذين نزلت فيهم هذه الآية على قول الامام مجاهد هم بنو مقرن من مزينة، وهم انفسهم الذين قال الله فيهم: **(وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ)**[٢] [٣] .

ذلك انهم حين سمعوا منادي الجهاد ابان غزوة تبوك، جاءوا الى النبي ﷺ يرجون منه ان يجد لهم راحلة تحملهم لكي يسيروا معه الى الجهاد وقتال الروم، فلما اخبرهم الرسول ﷺ انه لا يجد ما يحملهم عليه، اجهشوا بالبكاء لعدم استطاعتهم المساهمة في هذه الفريضة، وهذا الواجب المقدس، وهذا يدل على صدق ايمانهم العميق بالله تعالى، واخلاصهم لدينهم ولقضيتهم.

فاستحق هؤلاء النفر من الاعراب مدح الله سبحانه وتعالى لهم بقرآن يتلى الى يوم القيامة يخلد ذكرهم، ويجعلهم ومن هم على شاكلتهم، الاستثناء الذي ذكرته الآية الكريمة، بعد الصورة السلبية التي قدمها اولئك الاعراب المنافقون، وامثال هؤلاء الصحابة من الاعراب ليسوا بالقليل، ولا ريب انهم وامثالهم ممن شملهم الاستثناء الموصوف في الآية، قد هاجروا الى المدينة واستقروا بها، وسمعوا من رسول الله ﷺ وتعلموا منه القرآن الكريم، والسنة المطهرة، وحضروا معه الصلوات وصلاة الجمعة، واختلطوا بالصحابة الكرام فحسن ايمانهم، وتهذبت نفوسهم، وحسنت سيرتهم، وطابت عشرتهم، واستقام سلوكهم.

ولا شك ان الامثلة على هذا النموذج المؤمن الصادق من الاعراب ليس بالقليل، فهناك احاديث وروايات ذكرتهم وذكرت محاسنهم وفضائلهم ومنها:

ان رجلا من الاعراب، جاء الى النبي ﷺ، فآمن به، واتبعه، ثم قال: اهاجر معك. فأوصى به النبي ﷺ بعض اصحابه، فلما كانت غزوة، غنِم النبي ﷺ سبيا، فقسم، وقسم له، فأعطى اصحابه ما قسم له، وكان يرعى ظهرهم، فلما جاء دفعوه اليه. فقال: ما هذا ؟ قالوا: قسم قسمه لك النبي ﷺ، فأخذه فجاء به الى النبي ﷺ، فقال: ما هذا ؟ قال: قسمته لك. قال: ما على هذا اتبعتك، ولكني اتبعتك على ان ارمى الى ها هنا -واشار الى حلقه- بسهم فأموت فأدخل الجنة، فقال ﷺ: ان تصدق الله يصدقك. فلبثوا قليلا، ثم نهضوا في قتال العدو، فأتي به النبي ﷺ يُحمل، قد اصابه سهم حيث اشار. فقال عليه الصلاة والسلام: أهو هو. قالوا: نعم، قال: صدق الله فصدقه، ثم كفنه ﷺ في جبة النبي ﷺن ثم قدمه فصلى عليه، فكان فيما ظهر

(١) تفسير المنار - ج١١ - ص١٠ - ١١ - مصدر سابق
(٢) التوبة ٩٢
(٣) تفسير الطبري - ج١٤ - ص٤٣٣ - مصدر سابق

من صلاته: اللهم هذا عبدك، خرج مهاجرا في سبيلك فقُتل شهيدا، انا شهيد على ذلك[١] .

وفي حديث آخر يبين فضائل بعض القبائل الاعرابية يقول النبي ﷺ:(أرأيتم إن كان جهينة ومزينة وأسلم وغفار خيرا من بني تميم وبني أسد ومن بني عبد الله بن غطفان ومن بني عامر بن صعصعة، - فقال رجل خابوا وخسروا- فقال هم خير من بني تميم ومن بني أسد ومن بني عبد الله بن غطفان ومن بني عامر بن صعصعة)[٢].

وايضا قوله ﷺ: (قريش والأنصار وجهينة ومزينة وأسلم وغفار وأشجع موالي ليس لهم مولى دون الله ورسوله)[٣].

ان ذكر المفسرين لأسماء القبائل التي نزلت بسببها الآيات التي تذم كفرة الاعراب ومنافقيهم، لا يعني بالضرورة ان جميعهم كافرون منافقون، بل ان هناك استثناءات كثيرة، وان الكثير من الصحابة المعروفين الذين ذكرتهم كتب السيرة وكتب الحديث، من اصحاب الفضل والعلم والتقوى والثبات على دين الله، ومن اصحاب المواقف التي خلدها التاريخ الاسلامي؛ هم ممن ينتمون الى تلك القبائل الاعرابية، لكن الفارق وبين منافقي وكفرة الاعراب الاخرين هو هجرتهم الى المدينة المنورة، وصحبتهم للنبي ﷺ، وصحابته الكرام، وتلقيهم القران الكريم من النبي ﷺ، وجهادهم معه، وهو ما ميزهم عن غيرهم وجعلهم من اهل الايمان والتقوى والثبات على دين الله .

* * *

(١) السنن الصغرى - ابو عبد الرحمن احمد بن شعيب بن علي النسائي (٣٠٣ه) - تحقيق: عبد الفتاح ابو غدة - مكتب المطبوعات الاسلامية - حلب - ١٩٨٦ - ج٤ - ص ٦٠ - رقم الحديث ١٩٥٣- والحديث صححه الالباني

(٢) صحيح البخاري - ج٣ - ص ١٢٩٣ - رقم الحديث ٣٣٢٤ - مصدر سابق

(٣) المصدر نفسه - ج٣ - ص ٣٣٢٤ - رقم الحديث ٣٣٢١

الخاتمة

النظام الذي جاء به الاسلام، بما فيه من شرائع واحكام وتوجيهات وسنن الهية، هو نظام حياة شامل وكامل للبشرية جمعاء، وهو نظام لا يقبل التجزئة، لأن من صاغه وهو رب العباد، صاغه ليكون صالحا لعباده في اي زمان واي مكان، وهو سبحانه بهم ادرى.

فلا يكفي ان يكون المسلم مسلما بالاسم فقط وهو لا يفقه شيئا عن فرائض دينه، وان فقه شيئا لا يعمل به، او ان عمل ببعض انكر بعضا او تركه، فهذا لن يكون كافيا للدخول في دائرة الايمان والنجاة من النار، والا لكان الانتماء الشكلي للإسلام كافيا لأولئك الاعراب الذين اعلنوا اسلامهم الشكلي وبنفس الوقت رفضوا او تقاعسوا عن الهجرة الى دار الاسلام، وتعلم احكامه من رسول الاسلام ﷺ، وتطبيقها في حياتهم، فبقت أطباعهم وصفاتهم واخلاقهم الجاهلية كماهي، وزادوها سوءا واثما بخيانة الله ورسوله وخيانة المسلمين، وموالاة الكافرين، كلما سنحت لهم الفرصة، او كلما احسوا بضعف المسلمين وقوة اعدائهم.

فلو كان الانتماء الشكلي للإسلام على طريقة هؤلاء الاعراب كافيا لما وصف الله سبحانه وتعالى اولئك الاعراب في قرآنه ونعتهم بالكفر والنفاق والخيانة، ولو كان كافيا لما اصر الخليفة ابو بكر الصديق رضي الله عنه على قتال المرتدين ممن ارادوا الغاء فرض واحد من فروض الاسلام وهو الزكاة.

فهذا الدين كما قال عليه الصلاة والسلام في رده على بني شيبان عندما عرض عليهم الاسلام، عرضوا عليه ان ينصروا الاسلام وينصروا رسوله في مكان معين من ارض الجزيرة العربية، ولكن يدعوه وشأنه في اراض اخرى خاضعة لسيطرة الامبراطورية الفارسية القوية، فرفض عليه الصلاة وقال: (إن دين الله لن ينصره إلا من حاطه من جميع جوانبه)[1] .

* * *

(١) دلائل النبوة - ابو بكر احمد بن الحسين البيهقي (٤٥٨ هـ) - تحقيق : عبد المعطي قلعجي - دار الكتب العلمية - بيروت - ١٩٨٨ - ج٢ - ص٤٢٦

قائمة المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم**

١- ابو بكر الصديق شخصيته وعصره - علي محمد الصلابي - ط٢ - دار ابن كثير - دمشق - ٢٠٠٥

٢- البداية والنهاية - ابو الفدا اسماعيل بن عمر بن كثير - تحقيق: علي شيري - دار احياء التراث - بيروت - ١٩٨٨

٣- التفسير البسيط - ابو الحسن علي بن احمد الواحدي (ت ٤٦٨ هـ) - تحقيق : لجنة علمية في جامعة الملك محمد بن سعود - الناشر جامعة الملك محمد بن سعود الاسلامية - ١٤٣٠ هـ

٤- تفسير الطبري - محمد بن جرير الطبري(ت ٣١٠) - تحقيق: احمد محمد شاكر - مؤسسة الرسالة - بيروت - ٢٠٠٠

٥- تفسير مقاتل بن سليمان - ابو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الازدي البلخي (ت ١٥٠ هـ) تحقيق : عبدالله محمود شحاته - دار احياء التراث - بيروت - ١٤٢٣ هـ

٦- تفسير المنار - محمد رشيد ين علي رضا (ت ١٣٥٤ هـ) - الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر - ١٩٩٠

٧- الثابتون على الاسلام ايام فتنة الردة- مهدي رزق الله - دار طيبة - الرياض - ١٩٩٦

٨- خاتم النبيين صلى الله عليه واله وسلم - محمد ابو زهرة - دار الفكر العربي - القاهرة - ١٤٢٥ هـ

٩- دلائل النبوة - ابو بكر احمد بن الحسين البيهقي (٤٥٨ هـ) - تحقيق : عبد المعطي قلعجي - دار الكتب العلمية - بيروت - ١٩٨٨

١٠- زهرة التفاسير - محمد ابو زهرة - دار الفكر العربي - القاهرة - بدون ت -

١١- السنن الصغرى - ابو عبد الرحمن احمد بن شعيب بن علي النسائي (٣٠٣ هـ) - تحقيق: عبد الفتاح ابو غدة - مكتب المطبوعات الاسلامية - حلب - ١٩٨٦

١٢- السيرة النبوية - عبد الملك بن هشام بن ايوب - تحقيق : مصطفى السقا وابراهيم الابياري وعبد الحفيظ شلبي - ط٢ - مكتبة مصطفى البابي الحلبي - مصر - ١٩٥٥

١٣- السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل احداث - علي محمد الصلابي - ط٣ - دار المعرفة - بيروت - ٢٠٠٥

١٤- شرح الطيبي على مشكاة المصابيح - شرف الدين الحسين بن عبدالله الطيبي(ت ٧٤٣) - تحقيق : عبد الحميد هنداوي - مكتبة نزار مصطفى الباز - مكة المكرمة - ١٩٩٧

١٥- صحيح البخاري - محمد بن اسماعيل البخاري - تحقيق: مصطفى ديب البغا- ط٣ - دار ابن كثير - بيروت - ١٩٨٧

١٦- علي بن ابي طالب شخصيته وعصره

- علي محمد الصلابي - ط٢ - دار ابن كثير- دمشق - ٢٠٠٥

١٧- فتح الرحمن في تفسير القرآن - مجير الدين بن محمد المقدسي (ت ٩٢٧) - تحقيق: نور الدين طالب - دار النوادر - ٢٠٠٩

١٨- فقه السيرة - محمد سعيد رمضان البوطي - دار الفكر - دمشق - ١٤٢٦ هـ

١٩- في ضلال القرآن - سيد قطب - ط ٣٤ - دار الشروق - مصر - ٢٠٠٤

٢٠- الكامل في التاريخ - أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الجزري ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ) - تحقيق : عمر عبد السلام تدمري - دار الكتاب العربي - بيروت - ١٩٩٧

٢١- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل - ابو القاسم محمود بن عمر الزمخشري - تحقيق: عبد الرواق مهدي- دار احياء التراث العربي - بيروت - بدون ت

٢٢- لباب التأويل في معاني التنزيل - علاء الدين علي بن محمد بن ابراهيم المعروف بالخازن (ت ٧٤١ هـ) - تحقيق: محمد علي شاهين - دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٥ هـ

٢٣- لسان العرب - محمد بن مكرم بن منظور الافريقي (ت٧١١) - ط٣ - دار صادر - بيروت - ١٤١٤ هـ

٢٤- مسند الإمام أحمد بن حنبل- أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني - حققه وخرجه : شعيب الارنؤوط - مؤسسة قرطبة - القاهرة - بدون ت

٢٥- المغازي - محمد بن عمر بن واقد الواقدي - تحقيق : مارسدن جونس- ط٣ - دار الأعلمي - بيروت - ١٩٨٩

٢٦- الوسيط في تفسير القرآن المجيد - ابو الحسن علي بن احمد بن محمد الواحدي النيسابوري (ت ٤٦٨ ه) تحقيق وتعليق : عادل احمد عبد الموجود واخرون - دار الكتب العلمية - بيروت - ١٩٩٤.

* * *